الـدرس الثالث عشـر/ الاتجـــاه الأسلوبـــي:

إن الاهتمام بما هو خارج النص(السياق) نتج عنه مناهج أخرى تنادي بأهمية النص الأدبي ودراسته ككل متماسك تربطه وحدات جزئية، ومن هنا تباينت أساليب تحليل الخطاب، وتعدد طرقه، فظهرت الأسلوبية كمنهج لتحليل الخطاب التي تجمع بين النص ومبدعه، كما أنها تلج إلى داخل النص وتربطه بداخل المبدع.

وبما أن الأسلوبية غربية الأصل والمنشأ، فتباينت مفاهيمها بين الغرب والعرب، وقد كان**"فريديريك نوفاليس"** أحد الأوائل الذين استخدموا هذا المصطلح، إلا أن الميلاد الحقيقي للأسلوبية ـ في نظر الغربيين ـ يعود إلى بدايات القرن العشرين مع تلميذ (دي سوسير) ومواطنه الألسني السويسري**(شارل بالي: 1865ـ1947)** الذي أسس هذا العلم في كتابه الرائد (مبحث في الأسلوبية الفرنسية 1909) تحديدا، حيث عرفها قائلا:<< هي العلم الذي يدرس وقائع التبير اللغوي من ناحية محتواه العاطفي،أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة و واقع اللغة عبر هذه الحساسية>>. كما عرفها**(رومان جاكبسون)** قائلا:<< أنها بحث عما تميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أوّلاً، و عن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا.>> كما عرَّفها بعض الباحثين العرب وفي مقدمتهم الناقد**(عبد السلام المسدي)** في كتابه (الأسلوبية والأسلوب) الذي شكل هامة لكتابات أسلوبيةلاحقة،إذّ يقول:<< هي دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية...>>. لكن أكثر ما يستوقف "عبد السلام المسدي" هو طبيعة العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة، قائلا:<<الأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت، هي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في نفس الوقت أيضا.>>بحيث أن الأولى بديل للثانية وهما يفترقان عند جملة من النقاط: فالبلاغة علم معياري تعليمي، يعتمد فصل الشكل عن الضمون في الخطاب اللساني، بينما الأسلوبية علم وصفي تحليلي، وتنفي عن نفسها كل معيارية، ولا تسعى إلى غاية تعليمية، وترفض الفصل بين دال الخطاب ومدلوله.

ومن خلال تنوع التعريفات المختلفة، تنوعت الاتجاهات في التحليل الأسلوبي، نحاول رصد أشهرها:

أولا/ الأسلوبيةالتعبيرية(الوصفية):وزعيمها(شارل بالي)، ومن أعماله النقدية:(الأسلوبية الفرنسية، سنة1902) و(المجمل في الأسلوبية، سنة 1905)، ثم كتابين آخرين هما(اللغة والحياة، سنة 1913)، و(اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية، سنة 1932). وتعنى الأسلوبية التعبيرية بالقيم التعبيرية والمتغييرات الأسلوبية،وذلك من خلال دراسة العلاقة بين الشكل والفكر، فهي لاتخرج عن نطاق اللغة، ولا تتعدى وقائعها،مثلما تدرس الأبنية ووظائفها داخل النظام اللغوي،إذْ تهتم بالتراكيب والدلالات، أي الكيفية التي يكتب بها كاتب النص،أي الكشف عن السمات الخاصة التي يتفرد بها الأسلوب الذي يرتبط بها ارتباطًا وثيقًا بشخصية صاحبه.

ثانيا/الأسلوبية الأدبية(أسلوبية الكاتب): وهذا الاتجاه يخص دراسة الأسلوب الفردي للكاتب، ويمثله العلم النمساوي "لويس بيدزر" و"كارل فوسلر" و"موريس غرامون". وهي تقوم على دراسة العلاقات التعبيرية مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها دراسة تكوينية وليست معيارية أو تقريرية، كذلك دراسة التعبير في حدّ ذاته إزاء المتكلمين، تحديد

الأسباب، واستخلاص الخصائص النفسية للكاتب، وبما أن هذه الدراسة تخص دراسة أسلوب الكاتب، فمن المؤكد والضروري أنها تعنى بنفسية الكاتب. وقد استحالت إلى أسلوبية الانزياح وأسلوبية سيكولوجية.

ثالثا/ الأسلوبية البنيوية:إن هذا النوع من الأسلوبية يعنى بالعلاقات الداخلية ،إذْ تعنى في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص، وبالدلالات الإيحاءات التي تنمو بشكل متنغم، ويمثل هذا الاتجاه كل من(رومان جاكبسون وميشال ريفاتير). ومهمة الأسلوبية البنيوية هي اكتشاف القوانين التي تنظم الظوهر الأساسية في الخطاب الأدبي، وذلك من خلال تحديد العلاقات الموجودة بين مستويات الأسلوب في النص الأدبي.

رابعا/ الأسلوبية النفسية : ورائدها هو(ليو سبيتزر،1887-1960)، تقوم أسلوبيته على دراسة السمات النفسية للكاتب التي تنعكس في لغته، فتطبع كلامه وتعبيره بطابع شخصي أي<< رصد علاقات التعبير بالمؤلف، لتدخل من هذه العلاقات في الأسباب التي يتوجه بموجبها الأسلوب وجهة خاصة في ضوء دراسة العلاقات بين المؤلف ونصه، فهي تبحث عن روح المؤلف في لغته، ومن هنا اتسمت أسلوبيته بالمزج بين ما هو نفسي ولساني.>>

****ــ الاتجاه الأسلوبي في الخطاب النقدي الجزائري:**

إن الباحث في المدونة النقدية الجزائرية، يجد أن للأسلوبة في النقد الجزائري المعاصر حضور ضئيل، فلا نجد إلا لمسات أسلوبية لدى الدكتور"عبد الملك مرتاض" تتجلى بشكل ظاهر في أحد فصول كتابه**(الأمثال الشعبية الجزائرية)** موسوم بـ(دراسة في أسلوبية الأمثال الشعبية الجزائرية) عرض فيها باقتضاب لمفهوم الأسلوبية وتاريخها ،ثم أردفها بجانب تطبيقي، وتعتبر هذه الدراسة أول المحاولات في النقد الجزائري المعاصر.

كما قدم الدكتور**"**علي ملاحي**"** محاولة عن(شعرية السبعينيات)من القرن العشرين، نلمس فيها الملامح الأسلوبية في التجربة الشعرية الجزائرية خلال السبعينيات في شعر(عبد العالي رزاقي ـ أحمد حمدي ـ عمر أزراج ـ سليمان جوادي زينب الأعوج). وعلى الصعيد الأكاديمي، يمكن الإشارة إلى كتاب**(بناءالأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي)** للأستاذ/"عبد الحميد بوزوينة **"**، وهي دراسة تستأنس بتنظيرات: ليو سبيتزر، وجون كوهين، وجورج مونان، فضلا عن عبد السلام المسدي و صلاح فضل وأحمد الشايب. إلى جانب ذلك نشير إلى دراسة أخري هي(البنية اللغوية لبردة البوصيري) للأستاذ/**"** رابح بوحوش**"** وهي دراسة تسعى إلى إبراز الظواهر اللغوية والأسلوبية التي تميز البردة، ويؤكد الباحث على أن اتجاهه في البحث هو لغوي أسلوبي. وما يمكن قوله عن الاتجاه الأسلوبي في الجزائر، أن النقاد والباحثين الجزائريين قد قدموا دراسات ضئيلة جدًّا مقارنة بالمناهج الأخرى سواء كانت سياقية أو نسقية..